

أوراق فلسطينية:

يوميات طاهر

عبد الحميد الفتياي

وإضاءات على الحياة في

القدس خلال الحرب

العالمية الثانية*

الحلقة الأولى

سميح حمّودة**

من حياة المجتمع العربي في القدس خلال هذه المرحلة من سنوات الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٥)، وتلاحظ التأثيرات التي أحدثتها هذه الحرب عليه، ليس فقط في المجال السياسي، إنما في المجال الثقافي أيضاً، أي في طريقة حياة الناس وعلاقاتهم وأوضاعهم وأرائهم ومذاهب تفكيرهم. ولا شك أن أعوام الحرب هذه كانت مرحلة حرجة في التاريخ الفلسطيني، كونها جاءت مباشرة بعد نهاية الثورة العربية الكبرى (١٩٣٦-١٩٣٩) ضد الانتداب والصهيونية، وقد خرج المجتمع الفلسطيني من هذه الثورة مثقلاً بالجراحات والآلام التي أحدثتها آلة البطش البريطانية بجسده، وممزقاً من الخلافات والانشقاقات والانقسامات بين أنصار الثورة ومناهضيها، كما كان يعاني من غياب العديد من أعضاء قيادته السياسية الأساسيين، وبالأخص الحاج أمين الحسيني وأنصاره، منذ اضطر الذين أفلتوا من الاعتقال والإبعاد والنفي للفرار من وجه الإنكليز في أواخر سنة ١٩٣٧، فاستقروا في لبنان وسورية، ثم في العراق. وقد بقي هؤلاء القاديون في العراق حتى حزيران ١٩٤١، إذ اضطروا للخروج منه عقب فشل حركة رشيد عالي الكيلاني في أيار، فلبجأوا إلى إيطاليا وألمانيا، فكان لهذا الغياب القسري أثره في النخبة السياسية وقوتها وقدرتها على العمل.

ما الذي تعلّمنا به هذه اليوميات بشأن موقف المقدسيين من الحرب، وكيفية تفاعلهم معها ومع أخبارها، وإلى جانب أي من طرفي القتال وقفوا، وماذا كانت تأثيرات هذه الحرب في حياتهم اليومية وشؤونهم الاقتصادية وفكرهم، وما شكل العلاقة بين أعضاء النخبة السياسية، وهل ظهرت قيادة سياسية بديلة لقيادة الحاج أمين، لملء الفراغ الذي أحدثه غيابه، وغياب معاونيه الأساسيين؟

ملاحظات حول اليوميات وكاتبها

طاهر الفتياي جامعي وصحافي وسياسي ومعلم مقدسي، انتمى سياسياً إلى جبهة المجلسيين أنصار الحاج أمين الحسيني، وكان خلال هذه المدة من حياته مؤيداً وموالياً بصورة كبيرة للأخير. تمتاز يومياته التي دونها في دفتر كبير بأنها تسجيل يومي متواصل لأحداث حياته في المدة من يوم الجمعة ١٩٤٣/١/١ إلى يوم السبت ١٩٤٤/٥/٢٧، وتضم تعليقاته على ما أثار

تمتاز اليوميات الشخصية^١ وإلى حد ما كتب الذكريات، عن الوثائق الرسمية والمنشورات السياسية، سواء الصادرة منها عن جهات حكومية أو عن جهات وحركات وأحزاب سياسية، في قدرتها على أن تنفذ إلى أعماق الحياة المجتمعية لتصورها بمختلف تجلياتها ومكوناتها التفصيلية، بعيداً عن اللغة الرسمية وضوابطها وقيدوها، بحيث يقترب قارئ اليوميات من الإحساس بها، وكأنه يعيش زمانها ويلامس أشياءها ويشترك في الحياة مع أشخاصها، فاليوميات الشخصية تتضمن نصوصاً كان كاتبها قد انطلق بحرية في التعبير عن نفسه وآرائه ومشاعره وآماله ورغباته، فلا تحدّه الرسمىات وقواعد الخطاب العام.

تقدّم هذه الورقة، استناداً بشكل أساسي إلى مجلد يوميات غير منشور يعود إلى المقدسي طاهر عبد الحميد الفتياي (١٩١٠-١٩٧١)، يغطي المدة من بداية سنة ١٩٤٣ حتى منتصف أيار ١٩٤٤، عرضاً وتحليلاً لجوانب

١ تميّز في هذه الورقة بين اليوميات التي كان يدونها صاحبها بصورة يومية. دون وجود مدة زمنية طويلة بين التدوين وبين زمن وقوع الأحداث. وبين المذكرات التي كتبها صاحبها بعد مدة زمنية بعيدة نسبياً عن تاريخ الأحداث. ودوّنت اعتماداً على الذاكرة.

٢ النسخة الأصلية من هذه المذكرات محفوظة في منزل العائلة بالقدس القديمة. ويوجد نسخة مصورة عنها محفوظة في

* تستند الورقة في بحث بعض القضايا إلى عدة مذكرات ويوميات أخرى منشورة. وهي تسعى أساساً للتأسيس لدراسة شاملة لاحقة حول الموضوع. تستند إلى مجموعة أكبر من اليوميات والمذكرات، والمصادر التاريخية الأخرى.

** محاضر في جامعة بيرزيت ومحرر في حواريات القدس.

أرشيف جمعية الدراسات العربية بالقدس. المغلفة بأوامر الاحتلال الإسرائيلي. وأخرى بحوزة الكاتب.

٣ يذكر في مقدمة يومياته هذه أنه كان قد كتب في أثناء وجوده في القدس وفي أثناء غربيته يوميات تقع في مجلدين وتغطي عاماً ونصف. ولكنه حين عاد إلى القدس من العراق سنة

اهتمامه من أحداث مقدسية وفلسطينية وعربية ودولية، فلا يمر يوم في زمن هذا الدفتر ولم يسجل فيه الفتياي ملاحظاته وأفكاره وما أثاره من أخبار. وقد كتبت هذه اليوميات في اليوم نفسه الذي تحدثت عن أحداثه وأخباره، أو في اليوم التالي مباشرة، فلم يكن هناك عملية استرجاع لها بعد مضي زمن طويل كما هي الحال مع كتب الذكريات. وتمنح هذه الميزة يوميات الفتياي موقعاً متميزاً في مصادر التاريخ المقدسي والفلسطيني خلال عهد الانتداب البريطاني، وتجعلها في عداد المصادر الأساسية الموثوقة التي تضيء جوانب من هذا التاريخ لم تتطرق إليها المصادر الأخرى. وتزداد أهمية اليوميات من موقع كاتبها نفسه، فقربه من الحدث ومن العديد من الشخصيات الفلسطينية، وخصوصاً أنصار الحاج أمين، وكونه من أعضاء النخبة الفلسطينية المتعلمة والمتقفة في ذلك الوقت، يعطيها هذه الميزة الخاصة.

من هو طاهر الفتياي؟^٤

عائلة الفتياي عائلة عريقة في القدس^٥ ترجع أصولها إلى مكة المكرمة، وقد قدم إلى القدس عددٌ من فقهاؤها وسكنوها وعلموا فيها منذ العهد المملوكي، وللعائلة فروع في مكة ونابلس وفي غزة، تنتسب إلى جد يدعى فتياي، وهي من عائلات الأشراف المنتسبة لآل البيت. ولد طاهر عبد الحميد الفتياي في القدس بتاريخ ٢٣ ربيع الثاني ١٣٢٨ هـ، الموافق للربيع من أيار ١٩١٠، وهو الابن الأكبر للحاج عبد الحميد، فنّي ساعات في القدس. سكن الحاج عبد الحميد وعائلته الممتدة، التي تضم إخوته وعائلاتهم، في المدرسة العثمانية^٦ داخل البلدة القديمة في الطوق

المحيط بالمسجد الأقصى المبارك، وتوفي في ٣٠ شعبان ١٣٦٠ هـ الموافق لـ ٢٣ آب ١٩٤١.

درس طاهر في الجامعة الأمريكية ببيروت، ثم انتقل إلى الجامعة الأمريكية في القاهرة وتخرج منها، وعمل في الصحافة في جريدة الجامعة العربية مع مؤسسها ورئيس تحريرها محمد منيف الحسيني^٧، الذي يشير إليه في اليوميات بلقب الأستاذ، وعرفت الجريدة بأنها لسان حال رئيس المجلس الإسلامي الأعلى الحاج أمين الحسيني، وكان طاهر مديراً لتحرير القسم الداخلي في الجريدة^٨. ويبدو من يوميات قصيرة داوم على كتابتها رئيس بلدية طولكرم في عهد الانتداب عبد الرحمن الحاج إبراهيم^٩ أنّ طاهراً كان يسافر إلى المدن الفلسطينية، ومنها مدينة طولكرم، ليجمع الاشتراكات للجريدة. ومما نعرفه عنه في هذه المرحلة من حياته ما ذكرته عايدة النجار^{١٠} عن اشتراكه في الاجتماع، الذي عقد في منزل موسى كاظم باشا الحسيني بالقدس بعد تظاهرة القدس التي جرت في ١٣/٩/١٩٣٣، وقد تقرر فيه أن تكون التظاهرة الثانية في يافا في الأسبوع التالي. أمّا خلال الثورة العربية الكبرى فلا نعرف الكثير عن مساهمة طاهر فيها، فليس لدينا سوى ما ذكره يحيى الصرغندي من أن طاهراً كان معتقلاً في معسكر صرغند خلال الثورة^{١١}، وكانت سلطات الانتداب البريطاني قد نقلت المعتقلين الفلسطينيين، الذين اعتقلتهم في بداية الثورة في معتقل عوجة الحفير، لهذا المعتقل في منتصف حزيران ١٩٣٦، وقد أخلّ سبيلهم جميعاً وأُغلق المعتقل بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٣٦، وذلك بعد الإعلان عن

في القرن الثاني عشر تحقيق سلامة النعيمات. الجامعة الأردنية عمان. ١٩٨٤. ص. ٤٢. وكانت المدرسة العثمانية قد بنيت سنة ٨٤٠ هـ الموافق ١٤٣٦. وبعد تولي أبناء الفتياي للمدرسة بنى أحد أحفادهم طبقة فوقها. فأصبحت منزلاً للعائلة. وهو المنزل الذي ولد فيه طاهر وعاش.

٧ ابن أخت المفتي الحاج أمين الحسيني.

٨ يهوشع يعقوب. تاريخ الصحافة العربية في فلسطيني بداية عهد الإنتداب البريطاني على فلسطين ١٩١٩-١٩٢٩. الجزء الثاني. الجامعة العربية. القدس. ١٩٨٢. ص. ١٨٩. وكان إميل الغوري مسؤولاً عن القسم الخارجي في الجريدة. التي استمر صدورها تسعة أعوام (١٩٢٧-١٩٣٦).

٩ شغل عبد الرحمن الحاج إبراهيم (١٨٦٩-١٩٤٩) منصب رئيس بلدية طولكرم سنة ١٩٠٥. أي في أواخر العهد العثماني. واستمر حتى سنة ١٩٣٩. وقد اعتاد على كتابة مذكرات يومية على دفاتر مفكرة سنوية بقي منها المذكرات العائدة للفترة الزمنية من سنة ١٩٢٥ حتى وفاته سنة ١٩٤٩.

١٠ النجار عايدة. صحافة فلسطين والحركة الوطنية في نصف قرن ١٩٠٠ - ١٩٤٨. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ٢٠٠٥. ص. ١٨٠.

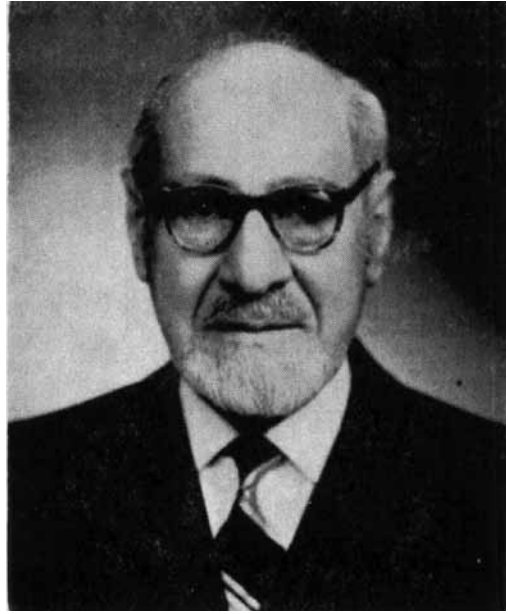
١١ www.palestineremembered.com/al-Ramla/...al.../Story14974.html

١٩٤١ ألقى بها في نهر البرموك عند جسر المجامع. والسبب بكلماته: «ذلك أنني خشيت تفتيش السلطة [البريطانية] لأمّعتني. والبلاد تستعر في جحيم من الرقابة الشديدة». وقد توقف عن كتابة اليوميات بعد عودته إلى القدس مدة عام وأكثر (أواخر ١٩٤١ حتى مطلع ١٩٤٣).

٤ أغلب ما نعرفه عنه مستنبط من يومياته هذه. ومن مقابلة أجريت مع ابنه عبد الحميد في عمّان بتموز ٢٠١٠. ولم نعثّر في المنشور حول تاريخ فلسطين الانتدابية الكثير عنه وعن نشاطاته. فلا نجد سوى أخبار ونتف متناثرة هنا وهناك. وربما يعود ذلك إلى أنّ اهتمام المؤرخين بأعضاء الصف الأول من النخبة السياسية الفلسطينية طغى على الاهتمام بالآخرين.

٥ تولّى علماء من العائلة إمامة الحنيفة في مسجد قبة الصخرة. وقد برز بعضهم في علم القراءات.

٦ جاء في كتاب حسن الحسيني. تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر أنّ أولاد الشيخ موسى أفندي الفتياي إبراهيم و خليل وعبد الله. تولّوا «التدريس في المدرسة العثمانية الواقعة خارج باب المطهرة. بعد خليل اللطفي. بعد فراغه لهم عن ذلك.» (راجع: الحسيني. حسن. تراجم أهل القدس



رشيد عالي الكيلاني.

نصب إذاعة جديدة في الموصل.^{١٢}
 وحين انهزمت الحكومة الوطنية ممثلة بالقوات
 العراقية النظامية والشعبية أمام القوات البريطانية،
 وعقدت هدنة بين الطرفين في ٣٠ أيار (مايو) ١٩٤١،
 اضطر المفتي أمين الحسيني ورشيد عالي الكيلاني
 والعقلاء الأربعة للهروب من بغداد. في هذا الوقت كان
 أكرم زعيتر قد توجه من بغداد إلى الموصل فوصلها
 في ٢ حزيران ١٩٤١. كتب زعيتر في يومياته: «وفي
 الموصل سألنا عمّن سبقنا من الفلسطينيين، فعلمنا
 أنهم لقوا عنتاً عظيماً في إقناع قنصل فرنسا بالسماح
 لهم بدخول سورية، وأن السلطات العراقية أذرتهم
 بضرورة مغادرة الموصل فوراً، وهيات لهم سيارات
 استقلوها وغادروا الموصل أمس». ^{١٤} ويستطرد زعيتر
 في سرد حوادث تلك الأيام، فيذكر أنه بات ليلة في
 الموصل، وكانوا فيها بحسب وصفه: «أشد ما نكون قلقاً
 على مصيرنا، وخوفاً من أن تقبض السلطات علينا أو أن
 تحملنا على الخروج قبل أن ندبر أمورنا». ثم يذكر أنه في
 أثناء تجواله في الموصل لقي طاهر الفتياي وإسحاق
 عبد السلام الحسيني ومصطفى فتح الله «الذي أبدى
 لنا من التسهيلات ما لست أنساها». ^{١٥} ويبين زعيتر أن
 أغلب الفلسطينيين قد غادروا الموصل إلى سورية هرباً
 من الحكومة الإنكليزية. المرجح إذن أن طاهراً قد غادر
 هو الآخر الموصل إلى سورية ومنها عاد إلى فلسطين،
 لأنه دخلها، كما يذكر في يومياته، من ناحية الشمال
 عند جسر المجامع. ومعلوماتنا عن حياته في الموصل
 شحيحة، وكل ما نعرفه بالإضافة إلى ما ذكره زعيتر، ما
 يذكره هو نفسه في يومية ١٩٤٣/١/٢٦ أن القائممقام
 العراقي تحسين علي ^{١٦} أوقفه في سجن الموصل ليلة قال
 عنها: «لن أنساها مدى العمر»، وأن تحسين علي هذا قد
 حسن علاقاته معه كثيراً بعد ذلك.
 لم يستطع الفتياي بعد عودته من العراق الحصول
 على وظيفة تتناسب مع مؤهلاته العلمية وميوله
 السياسية، فقد رفض عرضاً من عجاج نويهض للعمل في
 الإذاعة الفلسطينية، وعرضاً آخر للعمل في إذاعة الشرق
 الأدنى، ويبدو أن هذا الرفض جاء من منطلق وطني،
 ربما على اعتبار أنها تساهم في بث الدعاية للإنكليز في
 الحرب. ثم تقدم إلى العمل في المدارس الوطنية بالقدس،
 ولكنه لم يجد شاغراً لديها، فعمل مع شقيقه عبد السلام

وقف الإضراب والثورة.^{١٢} ولا نعرف إلى متى بقي طاهر
 موجوداً في القدس بعد الافراج عنه، وما الدور الذي قام
 به، ولكن من المرجح أنه خرج للعراق خلال الصيف،
 وقبل بدء السنة التعليمية الجديدة فيها. ويبقى أن
 نذكر بهذا السياق أن، أخاه عبد السلام، كما يتضح من
 اليوميات، كان من المشاركين في الثورة، وقد انضم إلى
 العاملين مع عبد القادر الحسيني، ثم تشرد مدة من الزمن
 وعاش أياماً صعبة، فأرّاً من الحكومة الإنكليزية.
 انتقل طاهر بعد إغلاق الإنكليز جريدة الجامعة
 العربية واعتقال رئيس تحريرها منيف الحسيني خلال
 ثورة سنة ١٩٣٦، إلى العراق للتدريس في مدارس
 الموصل. وقد ذكر أكرم زعيتر في مذكراته أن طاهراً كان
 في العراق في شهر أيار (مايو) ١٩٤١، يعمل مع المفتي
 وبقية المناضلين الفلسطينيين، الذين تجمعوا فيها بعد
 خروجهم من سورية ولبنان مع بدايات الحرب العالمية
 الثانية، وكان المفتي وجماعته آنذاك داعمين للحكومة
 الوطنية التي شكلها رشيد عالي الكيلاني وساندها العقلاء
 الأربعة، وتحالفت هذه الجبهة مع ألمانيا النازية على أمل
 التخلص من هيمنة الإنكليز، وقد اصطدمت هذه الحكومة
 في بداية أيار ١٩٤١ مع القوات الإنكليزية في أثناء ما
 عرف بثورة أيار. يذكر أكرم زعيتر أن الفتياي أوكل إليه
 خلال هذه الثورة ولمصطفى الوكيل وموسى الحسيني

١٣ زعيتر أكرم. من أجل أمّتي: من مذكرات أكرم زعيتر ١٩٣٩-١٩٤٦
 م. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ١٩٩٤. الجزء
 الثاني. ص. ٨.

١٤ زعيتر. مصدر سابق. ص. ٣٤.

١٥ المصدر نفسه.

١٦ نشرت مذكرات تحسين علي في بيروت بتحقيق صالح محمد
 العابد عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة ٢٠٠٤.
 وفيها حديث عن مدة عمله بالموصل.

١٢ راجع: زعيتر أكرم. الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٦ -
 ١٩٣٩. يوميات أكرم زعيتر. مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
 بيروت. ١٩٨٠. ص. ١٢٩، ٢٣٠.

في معمل زنكوغراف القدس، الذي كان قد افتتحه الأخير قبل مدة وجيزة من عودة أخيه، ثم انضم اعتباراً من بداية العام الدراسي ١٩٤٣-١٩٤٤ إلى هيئة التدريس في المدرسة الإبراهيمية مدرساً للغة الإنكليزية. تزوج طاهر من ابنة عمه عدلة صادق الفتياني في ١٩٤٢/٤/٥، وأنجب منها في أوائل ١٩٤٣ طفلة سميها مفتية، ثم أنجب لاحقاً ابنه الوحيد عبد الحميد.

غادر طاهر فلسطين بعد النكبة إلى مصر، فعمل مع الحاج أمين في الهيئة العربية العليا مدةً من الزمن، ثم اختلف معه حول قضايا سياسية، فانتقل إلى العمل ملحقاً ثقافياً في السفارة الأفغانية في القاهرة، وكانت تربطه علاقة صداقة مع محمد صادق المجدي،^{١٧} وزير الأفغان المفوض بالقاهرة، بدأت منذ المؤتمر الإسلامي العام الذي عقد بالقدس سنة ١٩٣١، وحضره المجدي. توفي طاهر سنة ١٩٧١ ودفن في القاهرة.^{١٨}

أوضاع مدينة القدس الاقتصادية والتغيرات في أوضاع الحياة

تتطرق العديد من المذكرات المنشورة إلى أوضاع المدينة الاقتصادية وأوضاع الحياة فيها في أثناء الحرب، وتزودنا بتفصيلات مهمة حول الموضوع، وهي تختلف في وصف الحالة، فهناك من يشير إلى حالة رخاء، في حين تصف مصادر أخرى حالة من الضيق. يقول حازم نسيبة في ذكرياته إنه «قد يبدو الحديث عن سلام ورخاء في القدس خلال الحرب أمراً غريباً ولكنه الحقيقة بعينها»، فالقدس وسائر فلسطين، بل الشرق الأوسط جميعه، كقاعدة أساسية استراتيجية خلفية للمجهود الحربي البريطاني، كانت تنعم بسلام شامل ورخاء منقطع النظير، وإنها كانت «خليفة نحل من النشاط في جميع ميادين العمل والنشاط».^{١٩} ويستطرد نسيبة بأن الحكومة كانت تشجّع «قيام الصناعات المحلية والزراعة لسد حاجات البلاد، بسبب تعذر استيراد أية سلعة مدنية، لأن الأولوية في النقل البحري كانت تعطى إلى المجهود الحربي».^{٢٠} على أن نسيبة يستدرك بأن هذا لا يعني أن فلسطين كانت

١٧ حسب ما كتبه طاهر في يومية ١٣ أيار ١٩٤٣ فقد تلقى تحيات طبيبات من المجدي أرسلها له مع أمين عبد الهادي.

١٨ الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، الجزء العاشر - القسم الثاني، في بيت المقدس (٢)، دار الهدى، كفر قرع، د. ت. ن. ص. ٣٩٦. نقلاً عن نشرة فلسطين الصادرة عن الهيئة العربية العليا، العدد ١٢٣، ص. ٣٣؛ ومقابلة مع السيد عبد الحميد طاهر الفتياني بعمّان في ٢ تموز ٢٠١٠.

١٩ نسيبة، حازم، ذكريات مقدسية، سيرة ذاتية، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ٢٠١٠.

٢٠ المصدر نفسه.

بمنأى عن الحرب، فيذكر الغارات الجوية على حيفا ومناطق أخرى، ويذكر إغارة «الغواصات المعادية التي كانت تحصد حصادها المرّ من السفن التي كانت تغامر بالمجيء إلى المنطقة».^{٢١} يذهب الدكتور خليل البديري في تذكاراته^{٢٢} إلى أن الهدوء والاستقرار سادا فلسطين طوال سنوات الحرب، ويقول إن الاصطدامات بين العرب من جهة وبين الحكومة الإنكليزية والصهيونيين من جهة ثانية قد توقفت توقفاً تاماً، ويتطرق إلى أسباب نمو الحالة الاقتصادية بصورة عامة، ويعزو لها لوجود الجيش البريطاني في فلسطين:

ونتيجة للحرب ازدهر النشاط الاقتصادي في الناحيتين العربية واليهودية، ونمت الطبقة العاملة نمواً كبيراً من جراء إنشاء وانتشار المشاغل والورش في معسكرات الجيش البريطاني، الأمر الذي اقتضته صعوبة المواصلات وخطورتها. كما أدى إلى إقامة بعض المصانع والورش العربية المحلية لسد حاجات القوات العسكرية وحاجات البلاد.

يبقى وصف البديري هذا للحالة الاقتصادية عامماً وخالياً من القراءة المتمعة للمرحلة كونها كانت مدة طويلة، ولا يمكن الاكتفاء في تقييمها اقتصادياً بناءً على الذاكرة وحدها. يمكن ربما الاستنتاج من يوميات خليل السكاكيني^{٢٣} وجود حالة من الرخاء، لكنها كانت بالتأكيد

٢١ المصدر نفسه.

٢٢ البديري، خليل، تاريخ ما أغفله التاريخ: ستة وستون عاماً مع الحركة الوطنية الفلسطينية، منشورات صلاح الدين، القدس، ١٩٨٢، ص. ٩٨-٩٩.

٢٣ السكاكيني من الشخصيات الفلسطينية المعروفة لجهوده وأعماله في حقل التعليم الفلسطيني. وفي آرائه الفلسفية ومساهماته اللغوية. وقد كتب عدداً من المؤلفات الأدبية والتربوية-التعليمية. وانتخب سنة ١٩٤٨ عضواً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة. وتعدّ مذكراته الشخصية التي أخذ يدونها ويهتم بها منذ مطلع شبابه، في أواخر العهد العثماني، حتى وفاته، نصوصاً في التاريخ والأدب. كتبت دراسات عديدة حول السكاكيني، أشملها وأهمها دراسة يوسف أيوب حدّاد (خليل السكاكيني حياته، مواقفه وآثاره، جمعية الصوت، الناصرة، ١٩٨٥). كما كتب فصولاً عنه من بين عديدين كل من فيصل درّاج (خليل السكاكيني: القضية الوطنية وأحلام المثقف الراقي، مقدمة للجزء الأول من يوميات خليل السكاكيني، الكتاب الأول: نيويورك، سلطنة، القدس، تحرير أكرم مسلم، مركز خليل السكاكيني الثقافي، ومؤسسة الدراسات المقدسية، رام الله، ص. ٢٦١-٢٦٠) وسليم تمّاري (الحب والجوع في نيويورك: هجرة السكاكيني الأولى، المصدر السابق نفسه، ص. ٢٩-٤٦).

نعتمد هنا على الجزأين السابع والثامن من يوميات السكاكيني وقد نشر السابع سنة ٢٠٠٩، ونشر الثامن سنة

محصورة في طبقة الميسورين والأغنياء في المجتمع المقدسي، إذ لا نثر في هذه اليوميات على ما يشير إلى معاناة السكاكيني في سبيل الحصول على مستلزمات الحياة الأساسية، بل هناك صورة من توفر العديد من السلع غير الأساسية التي كانت تستهلكها الطبقة الغنية، وقد كان السكاكيني في ذلك الوقت يعيش شيئاً من البحبوحة، بسبب الربيع الذي كان يتلقاه من بيع كتبه التعليمية (سلسلة كتب الجديد) للمدارس الفلسطينية. مقابل هذه الصورة ومناقضاً لها رسمت مصادر أخرى صورة من المعاناة وشح المواد اللازمة للحياة، فمثلاً يصف القنصل العراقي في القدس، طالب مشتاق،^{٢٤} أحوال المقدسيين والفلسطينيين الصعبة في أثناء إقامته في المدينة (١٩٤٠-١٩٤١)، ويقول إنه رغم ما يبدو على السطح «أن البلاد تتمتع بهدوء وسكينة وأن الناس يعيشون في جو مشبع بالطمأنينة والاستقرار، هناك الفقر المدقع المنتشر في القرى العربية والأرياف».^{٢٥} أما الدكتور صبحي غوشة فقد خصّص قسماً من الفصل الأخير من الجزء الأول من كتاب ذكرياته،^{٢٦} الذي عنوانه بـ «أبو علي هتلر»، للحديث عن

٢٠١٠، والسلسلة الكاملة لليوميات صدرت في رام الله عن مؤسسة الدراسات المقدسية ومركز خليل السكاكيني. وقد حررها عدنان مسلم.

٢٤ سياسي ودبلوماسي عراقي. عرف بميله القومية والعربية. وشغل عدة مناصب حكومية في حقل التعليم فكان مديراً لمدرسة ثانوية في بغداد. وعمل في دوائر وزارة الخارجية العراقية. فكان قنصلاً للعراق في لبنان (١٩٣٧-١٩٣٨) ثم قنصلاً للعراق في القدس (١٩٤٠-١٩٤١). ولاحقاً منذ تشرين الثاني من سنة ١٩٥٨ سفيراً للعراق في أنقرة بتركيا. بالإضافة إلى مناصب أخرى. وعمل بتعيين من عبد الحميد شومان مديراً للبنك العربي في بغداد. وقد ناصر المقاومة الفلسطينية للانتداب البريطاني وللصهيونية. واحتفظ بعلاقات جيدة مع الحاج أمين الحسيني. فمنحه وهو قنصل في لبنان سمة دخول العراق باسم مستعار ليدخلها لاحقاً هرباً من مضايقات الفرنسيين. كما كانت علاقته جيدة بالفائد المجاهد عبد القادر الحسيني. فمنحه في لبنان جواز سفر عراقي مزور. ثم كان رفيقه في معتقل العمارة. حين اعتقل الإنان عقب فشل حركة الكيلاني. حيث كان مشتاقاً من أنصارها (راجع مشتاق. طالب. أوراق أيامي. الجزء الأول ١٩٠٠-١٩٥٨. دار الطليعة للطباعة والنشر. بيروت. ١٩٦٨. ص. ٤٦٩). كان مستقلاً حزبياً. اعتمد في كتابة مذكراته عن مرحلة عمله في فلسطين. التي تحتل الصفحات ٣٢٦-٤٠١. وتمتد زمنياً من أول نيسان ١٩٤٠ حتى ١٩ نيسان ١٩٤١. على التقارير التي كان يرسلها من القدس إلى وزارة الخارجية العراقية ببغداد. ويقول إن قسماً من أوراقه خلال عمله بفلسطين فقد بعد عودته للعراق. إذ استولى عليها رجال الأمن العراقي. الذين تحرّروا منزله مرات عديدة في العهد الملكي. وأيضاً في الحكم البعني. الذي بدأ بعد ثورة ١٤ رمضان ١٣٨٢ هجرية (توافق ٨ شباط ١٩٦٣ ميلادية). كان مقر الفصليّة قد انتقل إلى القدس بعد أن تأسّس في حيفا.

٢٥ مشتاق. ص. ٣٢٧.

٢٦ غوشة. صبحي سعد الدين. شمسنا لن نغيب. الجزء الأول:

أحوال القدس في أثناء الحرب الثانية، وكان عمره حين نشبت عشرة أعوام. يقدّم غوشة في هذا القسم صورة مختلفة لأوضاع المدينة عمّا قدّمه نسيبة والبديري، وعمّا يستنتج من يوميات السكاكيني، فمعاناة الشعب الفلسطيني كانت «معاناة شديدة في مختلف أوضاعه الاقتصادية والمعيشية والسياسية»، فبالرغم من بروز طبقة من «أثرياء الحرب»، الذين يقول غوشة إنهم تعاونوا مع الجيش البريطاني لإقامة المعسكرات والتعهدات الأخرى، «إلا أن معظم الفئات الكادحة من عمّال وفلاحين عانت من ارتفاع الأسعار وقلة المواد التموينية، فقد وضعت سلطات الانتداب أنظمة لصرف المواد الغذائية بموجب نظام «كوبونات» أو «النقط»، فكان يصرف لكل فرد دفاتر كوبونات فيها عدد من «النقط».... وخصص لكل فرد -بحسب عمره- مخصصات شهرية من الدقيق والسكر والأرز».

بحسب غوشة فإن الكميات المخصّصة لسكان القدس لم تكن كافية لسدّ حاجاتهم، «ولذلك انتشرت السوق السوداء لبيع هذه المواد، «فبلغت أسعارها أسعاراً خيالية في بعض المناطق فلم يستطع الفقراء شراءها، لذلك فتشوا عن بدائل لها».^{٢٧} أما فيما يتعلق بنوعية هذه المواد فإن غوشة يقول إنّها لم تكن جيدة، بل كانت نوعية رديئة، وإن العديد منها لم يكن ممّا تعود المواطنون على استعماله، فاستبدل السكر الأبيض بالسكر الأحمر المصنوع من البنجر، والدقيق الأبيض بالدقيق الأسود، مخلوطاً بالنخالة ومواد أخرى، كما انتشر دقيق الذرة ودقيق الشعير، واستبدل البيض بمسحوق البيض. ويتطرق غوشة إلى ارتفاع أسعار الأدوات المنزلية والأثاث والملابس والأحذية، وقيام السلطات بتقنين بيع الأقمشة، فقد أعطت «لكل مواطن بالغ «كوبونا» لشراء بدلة أو قطعة قماش «بوتوليتي» كل عامين، وكان قماشها موحداً في النوع ومن ثلاثة ألوان فقط».^{٢٨}

يبدو وصف غوشة أكثر واقعية من الوصف الذي قدّمه نسيبة والبديري للحالة في قتل الحرب، فهو يضع أمامنا تفاصيل كثيرة تتم عن ذاكرة أقوى وإمام أفضل بأحوال العامة، ونجد في مصادر منشورة أخرى ما يؤيد هذا الوصف، من ذلك مذكرات المعلم المقدسي فؤاد أبو السعود،^{٢٩} وخصوصاً حين كتب عن شكواه ضد تجار اللحوم، الذين لم يلتزموا بالسعر الذي قرّره الحكومة،

أنغام الحياة. د. ن. د. م. ن. ١٩٨٨. وجاء الفصل في الصفحات ٢٧٨-٢٨٥.

٢٧ المصدر السابق. ص. ٢٧٩-٢٨٠.

٢٨ غوشة. ص. ٢٨٠-٢٨١.

٢٩ أبو السعود. فؤاد. مذكرات معلم القدس. د. ن. د. ت. ن. وأنظر دراسة الكاتب عن هذه المذكرات: «ذكريات المعلم المقدسي فؤاد أبو السعود». مجلة حوليات القدس. العدد التاسع. صيف ٢٠١٠. ص. ١٨-٢١.

بل باعوه بضعف الثمن، ممّا يدل على قلة اللحوم في الأسواق.

تتضمن يوميات طاهر الفتّاني معلومات غزيرة عن الأوضاع الاقتصادية في القدس في المدة التي تغطيها، وتتفق روايته مع رواية صبحي غوشة، ففي هذه اليوميات شكاوى متواصلة من غلاء الأسعار وشح المواد الاستهلاكية، فنقرأ مثلاً في يومية ١٩٤٣/٧/٤: «انقطع البيض من الأسواق بعد أن تمتعنا به زمناً قصيراً رغم ارتفاع أسعاره، وسبب ذلك مرض دُبّ دبّيه بين الطيور، واستحوذ الجيش على مقادير هائلة من البيض». ونقرأ في يومية سابقة دُوّنت بتاريخ ١٩٤٣/١/١٤: «الصيدليات لا تعطي للشاري علبة حليب إلا إذا قدّم لها العلبة الفارغة، وكذلك الحال مع مواسير دواء الأسنان. أمّا حبوب الكينا فلا تعطى إلا بموجب راشة»^{٣٠} من الطبيب». وحين احتاج أخوه عبد السلام في مرض موته دواء البنسلين، لم يعثر عليه طاهر في أيّ من صيدليات القدس، ولم يكن موجوداً إلا عند الجيش البريطاني المرابط في فلسطين.^{٣١} ويتحدث الفتّاني عن إحضاره كمية قليلة من البصل الأخضر من يافا في أثناء زيارته لها وذلك لغلاء سعره في القدس، وقد اعتبر هذا أفضل هدية تقدم إلى عائلته. ويكتب مشيراً إلى انتشار الغلاء أن أجار المنزل في عين كارم وفي رام الله، وصل إلى أكثر من ٨٠ جنيهاً في السنة، وهو مبلغ كبير في معايير تلك السنين. ويتحدث في يومية الجمعة ٥ آذار ١٩٤٣م - ٢٩ صفر ١٣٦٢هـ عن لقائه في الباص المتجه إلى يافا بابين عمّه يوسف الفتّاني، وكان معه محمود المغربي. «وابن العم أرسل نكته باعتباره موظفاً حكومياً، فقد أعلن الموظفون احتجاجهم لعدم زيادة مرتباتهم بسبب غلاء الأسعار. ورأوا أن خير الاحتجاج هو أن يرسلوا لحاهم».

موقف المقدسيين من الحرب ومن الحلفاء والمحور

يتبين من المصادر المنشورة ومن يوميات الفتّاني أنّ المقدسيين، وينسحب موقفهم على الفلسطينيين عموماً، أعطوا أخبار الحرب أهمية كبيرة، وتابعوها باهتمام، ويتضح بجلاء أنّهم انقسموا بين مؤيد للمحور ومؤيد للحلفاء، وهذه الحقيقة مناقضة للرواية الإسرائيلية التي وضعت الفلسطينيين جميعاً ضمن أنصار المعسكر النازي-الفاشي في الحرب، واعتبرتهم بالتالي مسؤولين، ولو جزئياً، عن الجرائم النازية بحقهم. ويمكن في هذا السياق تلخيص الصورة بأمرين: الأول، أنّ المجلسيين

٣٠ أي وصفة طبية.

٣١ يومية الجمعة ١٩٤٤/٥/٢٦م - ٤ جمادى الثانية ١٣٦٣هـ.

أنصار الحاج أمين، ومنهم طاهر الفتّاني، أيدوا بقوة معسكر المحور، منطلقين من البغض لسياسات بريطانيا التهودية والمنحازة لليهود؛ والثاني، أنّ طرفاً فلسطينياً آخر وقف مع معسكر الحلفاء، بل كان من الفلسطينيين من دعم المجهود الحربي البريطاني، ومن تطوع للقتال مع الحلفاء ضد الألمان وسائر دول المحور.

يشير السكاكيني إلى اهتمام الناس في القدس بأخبار الحرب، فيقول في يومية الجمعة ١٠ أيار ١٩٤٠ أن «لا حديث لهم إلا إغارة ألمانيا على هولندا وبلجيكا»^{٣٢}. ويكتب في يومية الثلاثاء ٢٨ أيار ١٩٤٠ أيضاً أن «لا حديث للناس إلا حديث استسلام ملك بلجيكا للقوات الألمانية في الصباح الباكر»^{٣٣}. وعن موقف الفلسطينيين من المعسكرين المتحاربين فقد كتب عمر الصالح البرغوثي^{٣٤} في كتاب مذكراته يقول إنّ بريطانيا أعلنت في دعايتها أنّ هتلر لا يحترم العرب، رغبة منها في كسبهم لصفها في الحرب، «ولكنّ العرب انجرفوا في التيار الألماني، وهتفوا للنصر [على بريطانيا]»^{٣٥}. على أنّ السكاكيني يخالف تعميم البرغوثي هذا فيشير إلى انقسام الفلسطينيين بين موالين للإنكليز ومعادين لهم في الموقف من الحرب، ففي يوميته المؤرخة في ١٩ أيار ١٩٤٠ يشكو من اضطرابه لسماع المناقشات حول الحرب، التي «قد تكون حادة، هذا ينتصر للألمان وذاك للإنكليز»^{٣٦}. ولا يخفى على السكاكيني كذب كلا الفريقين المتحاربين، فهو يكتب في ٢٠ تموز ١٩٤١ أنّ كل ما يدعونه كذب، «يدعون أنّهم يحاربون لأجل الحرية والاستقلال، وكل ما يدعونه كذب، يدعون أنّهم يريدون خير العرب مثلاً، كل ما يدعونه كذب، يدعي هذا الفريق أنه يحارب ليضع للعالم نظاماً جديداً يضمن للناس السعادة، ويدعي الفريق الآخر أنه يحارب لأجل الديمقراطية، كلتا الدعويين كذب»^{٣٧}. ويقف الدكتور خليل البديري، المعروف بميوله الشيوعية، موقفاً مناوئاً للنازية ومؤيداً للاتحاد السوفييتي أساساً، ولحلفائه بالضرورة لا بالرغبة والاختيار. وقد كتب البديري في ذكرياته شارحاً موقفه منذ بداية الحرب، ومبيناً يقينه بهزيمة ألمانيا:

ولمّا قامت ألمانيا الهتلرية بعدوانها الغادر على الاتحاد السوفييتي في صيف ١٩٤١، أيقننت بأنها سائرة إلى الهزيمة، ولم يخامرني شك، على الرغم من توغلها مسافات واسعة في الاتحاد

٣٢ ص. ١٢٩.

٣٣ ص. ١٤٧.

٣٤ (١٨٩٤-١٩٦٥) البرغوثي. عمر الصالح. المراحل. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ٢٠٠١.

٣٥ البرغوثي. ص. ٤٠٥.

٣٦ الجزء السابع. ص. ١٣٧.

٣٧ السابع. ص. ٢٨٣.

السوفييتي، ووصولها إلى ضواحي موسكو، ومحاصرة ليننغراد واحتلالها شبه جزيرة القرم، وإطلالها على القفقاس، ومناجم البترول في باكو وباطومي، بأنّ النصر سيكون حليف الاتحاد السوفييتي وحلفائه بالضرورة والإكراه لا الرغبة والاختيار.^{٣٨}

لأخبار الخسائر الأمريكية في شمال أفريقيا، ولحركة الهنود بقيادة غاندي ضد الإنكليز، فدوّن في دفتر يومياته يوم الاثنين ٢٢ شباط ١٩٤٣^{٣٩} الأنباء القادمة «من ألمانيا أن الجيش الأمريكي في شمال إفريقيا خسر حتى الآن (في أسبوعين) أكثر من ٦٥ ألف جندي. هذا وقد ساءت صحة غاندي الذي مضى عليه أسبوعان وهو صائم، وقامت ثورات في الهند طالب فيها الثوار بإطلاق سراح غاندي».

يعود طاهر ليدوّن في ٨ أيلول ١٩٤٣ أخبار هزيمة إيطاليا واستسلامها للحلفاء بلا قيد ولا شرط: «ووقع على معاهدة التسليم مندوبان عن الجنرال ايزنهاور والمارشال بادليوا، واعتبرت ألمانيا هذا العمل خيانة عظمى، وبدأت ألمانيا باحتلال شمال إيطاليا، وتألّفت حكومة فاشستية في شمال إيطاليا برئاسة السينور موسوليني، الذي كان قد قدم استقالته منذ بضعة أسابيع».

انقسام النخبة بين أنصار الإنكليز وأنصار المحور

شهدت سنوات الحرب استمراراً للانقسام في النخبة القيادية في فلسطين، الذي بدأ منذ السنوات الأولى للحكم الإنكليزي، ثم تبلور لاحقاً في معسكرين اثنين: المجلسيين بزعامة المفتي؛ والمعارضين بزعامة راغب وفخري النشاشيبي؛ وكان للجوء الحاج أمين وأنصاره لسياسة الاغتيالات والتصفية الجسدية خلال الثورة العربية الكبرى ضد المعارضين والمخالفين، وقيام هؤلاء بتشكيل فصائل السلام للانتقام من المفتي وأنصاره، دور كبير في تعميق الشرخ بين المعسكرين. وقد اتخذت الحكومة البريطانية في فلسطين، منذ تأسيسها، سياسة تشجيع الانقسام وتغذيته من أجل تسهيل سيطرتها على المجتمع الفلسطيني ونخبته.

أنصار الإنكليز

قامت الحكومة بالاستعانة بالمعارضين لزعامة المفتي، وللساخطين على ممارسات العديد من الثوار وقادتهم لتنفيذ مخططاتها بتصفية الثورة والقضاء على العاملين فيها، وقد بنت علاقات قوية مع هؤلاء المتعاونين معها. يصف القنصل العراقي العام في فلسطين طالب مشتاق فخري وراغب النشاشيبي بقوله إنهما معروفان في الأوساط العربية الفلسطينية بموالاتهما للإنكليز وقلة

كانت متابعة الفتيا للحرب وأخبارها أشمل بكثير من متابعة السكاكيني، وهو لا يخفي في لغته وتعليقاته انحيازه إلى معسكر المحور ضد معسكر الحلفاء، كما لا تخفي يومياته بغضه الشديد للإنكليز وسياستهم في فلسطين. كتب الفتيا في يومية الأربعاء ٢٧ كانون الثاني ١٩٤٣^{٣٩} معبراً عن انزعاجه وقلقه بعد أن قرأ في جريدة الـ «بالستين بوست» أنباء الحرب، ومنها «أن روزفلت وتشرشل اجتمعا في الدار البيضاء من ١٤-٢٤ يناير، أي مدة ١٠ أيام، وقد وضعوا بالاشتراك مع قوات الأمريكيين والإنكليز والفرنسيين الخطط المحكمة لحمل ألمانيا ودولتي المحور على التسليم بلا قيد ولا شرط! وكذلك قرأت أن ألمانيا (تعبانة) جدا في ستالينغراد، وأنها بدأت هناك تصفي حركاتها العسكرية، ولا تدل الأعمال الحربية القائمة الآن في الجبهة على أمل كبير من جانب الألمان». وكتب يوم الأربعاء ١٧ شباط ١٩٤٣^{٤٠} عن لقائه والشيخ يعقوب البخاري بالدكتور توفيق باز حداد، الذي يصفه بأنه «مؤمن كل الإيمان بأن الروس والألمان على وشك الانهيار. ويقول إنه ليس من المستبعد أن تحاول ألمانيا الاتفاق مع الحلفاء لكسر الروس لأن الروس هم أعداء الجميع -ألمانيا وأمريكا وإنجلترا- وقال إن ما يكسبه الألمان في الصيف يخسرونه في الشتاء».

يتابع طاهر أخبار الحرب وهي مليئة بتفصيلات الهزائم الألمانية، فيكتب في يومية الجمعة ٥ شباط ١٩٤٣^{٤١} بروح تميل إلى عدم التصديق، واعتبار بعض الأخبار دعابة سخيفة:

أعلنت ألمانيا الحداد ثلاثة أيام لمناسبة استسلام ليننغراد. وألغيت المظاهرات في ألمانيا التي اعتاد النازيون القيام بها، وذلك لمناسبة الاحتفال بالذكرى السادسة للنظام النازي. وقد أشاع الإنكليز والأمريكيون أن الحداد وإلغاء المظاهرات يفهم منها أن هتلر قد مات. وأن أساطين رجال الجيش لا يريدون إعلان هذا النبأ خوفاً من حدوث رعب وفزع في ألمانيا.. وهذه الدعاية - فيما أعتقد - فيها سخف وقلة عقل».

على أنّ هذه الأخبار السيئة لم تمنعه من إيلاء أهمية

٣٨ البديري. مصدر سابق. ص. ١٠٠.

٣٩ توافق ٢١ المحرم سنة ١٣٦٢هـ

٤٠ يوافق ١٣ صفر سنة ١٣٦٢هـ.

٤١ يوافق ١ صفر الخير سنة ١٣٦٢هـ.

٤٢ يوافق ١٨ صفر سنة ١٣٦٢هـ.



راغب النشاشيبي.

بتاريخ ١٠ تشرين الثاني ١٩٤١ قُتل فخري النشاشيبي في بغداد، ويروي خليل السكاكيني أنَّ الراديو أذاع النبأ، ويعلق بالقول:

هذه نتيجة من يلعب بالنار، لقد كانت حياة فخري مغامرات ولكنها أشبه بالبهلوانية، وإذا أردت أن ألقى التبعة على أحد، فأني ألقها أولاً على ذويه لأنهم لم يحسنوا تربيته، وثانياً على ابن عمه راغب وأعوانه، لأنهم كانوا يستخدمونه في سبيل أغراضهم فكانوا يشجعونه على المضي في أعماله، وثالثاً على الحكومة لأنها حاولت مراراً أن تستخدمه لقضاء أغراضها، ولكنني آسف جداً أن يكون هذا مصيره، فقد كان في الإمكان أن يكون شخصاً آخر، أن يكون عضواً نافعاً في الهيئة الاجتماعية لأنه كان من الذكاء على جانبٍ عظيم.^{٤٧}

تابع السكاكيني في يومياته أحداث اليوم التالي لمقتل فخري، فدوّن أن صبحي عويضة، الذي زار السكاكيني ببيته، حضر من حيفا بينهم لأجل الاشتراك في تشييع

اهتمامهما بالقضايا العربية، «إنهما على جانب من الثقافة والذكاء وحدة الذهن. وآسف على استعمالهما هذه المزايا لمطامع شخصية ضد مصلحة بلادهما، ويكونان بالنسبة إلى أبناء بلادهما من المنفوريين، لا يثق أحد بإخلاصهما ولا يرتاح المواطنون إلى صلاتهما بالسلطات البريطانية في البلاد».^{٤٨}

تكشف تفصيلات الأحداث اليومية في المدينة، كيف أنَّ الموالين للإنكليز كانوا يحظون بالقرب من رجال الحكومة ودوائرها، ويستعملون نفوذهم لكسب الناس لطرفهم. كتب خليل السكاكيني في ٢ آذار ١٩٤٠ عن زيارة نظمي الطاهر، شقيق صديقه الصحفي المعروف محمد علي الطاهر، له في بيته في القطمون، حيث جاء من يافا إلى القدس لأن البوليس سأل عنه في يافا، «وقد قابل اليوم فخري النشاشيبي يطلب مساعدته، فوجد عنده كثيرين من الفلاحين وغيرهم جاؤوه يلتمسون مساعدته».^{٤٩}

تعكس يوميات طاهر هذا الانقسام في الصف الفلسطيني بوضوح، وتبيّن تعليقاته على شخصيات المعارضة، وخصوصاً راغب وفخري النشاشيبي وأنصارهما، مدى الحشد والتعبئة التي بثها معسكر المفتي ضدهم، وقد استخدم لغةً تدل على موقف حادّ تجاههم، ونعتهم بصفات سيئة، ومن ذلك ما كتبه في يومية الأحد ١٥ آب ١٩٤٣: «معلقاً على وفاة أحد أنصار راغب ورابطاً بين الأخير وبين السماسرة: «توفي اليوم الحاج إسماعيل النجار من لفتا عن عمر يناهز التسعين عاماً. وهذا الرجل من كبار السماسرة المجرمين ومن أعظم أنصار راغب النشاشيبي». وكتب في يومية الأحد ١٩٤٤/٤/٩ يصف جنازة محي الدين هلال الحسيني، التي شُيّعت من المسجد الأقصى المبارك، واشتركت فيها وفود من يافا والرملة والخليل والقرى المجاورة، وكان من بين المشيِّعين راغب النشاشيبي، وحين التقى به طاهر، أثر الابتعاد عنه، وبحسب عباراته:

ولأول مرة يتحدث إليّ راغب النشاشيبي وأتحدث إليه بإفاضة، وكان مدار الحديث هل من الضروري للغة العربية قلب الحروف العربية إلى لاتينية، وهو المشروع الذي أخذ عبد العزيز باشا فهمي (في القاهرة) يبشر به، ولما خرجنا من غرفة الشيخ فائق كنت أسير إلى جانبه، وأخيراً رأيت من الخير أن أتملّص، وألا أسير بجانبه.^{٤٦}

٤٣ مشناق. ص. ٣٣٠-٣٣١.

٤٤ الجزء السابع. ص. ٩١.

٤٥ يوافق ١٤ شعبان ١٣٦٢هـ.

٤٦ التأكيد مضاف من الكاتب.

٤٧ السكاكيني. يوميات خليل السكاكيني. الكتاب السابع. ص. ٤٥٠.

فخري، وأن «رسائل كثيرة أرسلت إلى بعض كبار الموظفين يحذرونهم من المشي في جنازة فخري، ويهدّدونهم إن فعلوا بالقتل»، ثم ينقل السكاكيني ما أذاعه الراديو من أن «الحكومة العراقية ألقت القبض على كثير من الفلسطينيين»، وينقل أخباراً أخرى منها أن الجاني بين المعتقلين، وأنه، بحسب ما أبلغه به صبحي عويضة، يُدعى حسن نسيبة، وأنه هو الذي قتل الشيخ الأنصاري.^{٤٨}

يتطرق طاهر في اليوميات إلى أخبار التحقيقات، التي جرت في بغداد حول مقتل فخري النشاشيبي في بغداد ويصفه بالهالك، ويذكر أن القنصل السعودي، عبد العزيز الكحيمي حدّثه في ٧ كانون الثاني ١٩٤٣ ناقلاً عن قنصل العراق «أن القاتل الحقيقي لفخري النشاشيبي هو أحمد إسماعيل نسيبة». ويدوّن طاهر ردّه على هذا الخبر: «ففتنت له هذا القول، لأنّ أعصاب المعتدي قدّت من الفولاذ وليست أعصاب أحمد نسيبة في شيء من ذلك». ويسجّل طاهر أنّ الكحيمي أبلغه في اللقاء نفسه بينهما «أنّ الشيخ أديب السراج ذهب إلى الحجاز لتأدية الفريضة عن فخري النشاشيبي الهالك، وأنّ راغب النشاشيبي هو الذي سهّل له كافة أسباب السفر، ودفع عنه الأجور». وكان قد كتب في يومية الخميس ٧ كانون الثاني ١٩٤٣، يصف الشيخ أديب السراج بالمشعوذ الكبير، ويقول إنّه حاول في حج هذا العام بالحجاز «إعطاء دروس دينية في حرم مكة للمسلمات فمنع وأوقف في مركز الشرطة نحو ساعتين». ويضيف بأنّ الأستاذ منيف [الحسيني] يعرف، عن طريق الحاج عبد المحسن الصباغ، أن الشيخ أديب ذاهب إلى الحجاز لأداء الفريضة عن الهالك فخري النشاشيبي، وللنصب والاحتفال وقبض ما يمكن قبضه من دراهم من جلالة الملك ابن سعود».

الانعطاف في مواقف ثلاثة من مؤسسي حزب الاستقلال

يرصد طاهر ما يمكن اعتباره تغييراً كبيراً في مواقف ثلاثة من مؤسسي حزب الاستقلال: عوني عبد الهادي ورشيد الحاج إبراهيم وعجاج نويهض. فبعد أن كان الحزب منذ تأسيسه من أشدّ المعارضين للتعامل أو التفاهم مع حكومة الانتداب البريطاني، ومن الدّاعين إلى التمرد والثورة عليها، مال هؤلاء الثلاثة، بحسب الأخبار التي دوّنها طاهر وعلّق عليها، إلى التفاهم مع الحكومة والتعاون معها في الحرب، وإلى التنسيق مع الأمير عبد الله، حليف الإنكليز وصنيعتهم، والعدو اللدود

للحاج أمين. وقد دوّن طاهر في يومياته ما يدل على هذا الانعطاف، فتابع أخبار اللقاءات بين الاستقلاليين هؤلاء وبين الأمير عبد الله، كما اهتمّ بنشاط عجاج نويهض في الإذاعة الفلسطينية التي كانت تبثّ الدعاية للحلفاء، وسجّل تفصيلات كثيرة حول محاولة رشيد الحاج إبراهيم، الذي حظي بدعم أحمد حلمي عبد الباقي باشا، تشكيل هيئة عربية عليا داخل فلسطين بدل اللجنة العربية العليا التي مات بعض أعضائها، واضطر البعض الآخر، وأولهم رئيسها الحاج أمين، للعيش في المنفى، وأشار إلى أن هذه المساعي كانت بالاتفاق مع الحكومة، كما سجّل تفصيلات عن مؤتمر عقدته بالقدس الغرف التجارية الفلسطينية وشخصيات سياسية أخرى، واعتبره المجلسيون، مؤتمراً غير وطني ولا قيمة له.

(يتبع في العدد القادم)